ترجمة خيرى الضامن

А. Худайбердыев

БРИТАНСКИЙ ИМПЕРИАЛИЗМ И РАЗДЕЛ ЙЕМЕНА

На арабском языке

طبع فى الاتحاد السوفييتى

X $\frac{0804000000-065}{014(01)-90}$ 188—90

ISBN 5-01-002158-7

مدخل

حتى الآونة الاخيرة لم تكن بين المؤلفات العلمية الخاصة بالجزيرة العربية دراسة موضوعية وافية لخصائص السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية فى اليمن فى الثلث الاول من القرن العشرين . ويعزى ذلك بالاساس الى ان وثائق الارشيفات البريطانية المتعلقة بسياسة بريطانيا فى الجزيرة العربية لم تكن فى متناول الدراسات العلمية لامد طويل .

واستخدم المؤرخون الغربيون ، والانجليز بالدرجة الاولى ، هذا الامر لتزويق السياسة البريطانية فى اليمن وتشويه تاريخ جنوب الجزيرة العربية بكل الوسائل . وحاول المؤرخون الانجليز ان يحطوا من سمعة النضال التحررى لشعب اليمن معتبرينه «تطاولا» على «حق» بريطانيا «الشرعى» فى المناطق الجنوبية من اليمن ، كما حاولوا تسويد صفحة الاتحاد السوفييتى الذى قدم مساعدة وتأييدا كبيرين لاولى الدول العربية المستقلة . وباستخدام الوثائق الارشيفية التى رفع عنها ختم السرية فى الآونة الاخيرة يحاول المؤرخون الانجليز اضفاء طابع الموضوعية على بحوثهم ليثبتوا بان الحدود الاقليمية القائمة حاليا بين جمهوريتى اليمن لم تكن ، كما يزعمون ، نتيجة لسياسة الدول الاستعمارية ، بل هى نتيجة للعداء التقليدى بين مشايخ الجزيرة . ومن جهة اخرى يساعدهم استخدام الوثائق الارشيفية البعيدة المنال على تحقيق المزيد من التفنن والشطارة فى تضليل الرأى العام بشأن فكرة الرسالة التمدنية المزعومة للمستعمرين البريطانيين فى جنوب الجزيرة العربية . ولذا فان دراسة الماضى

غير البعيد نسبيا لليمن على اساس الوثائق الارشيفية التى غدت فى متناول الايدى حاليا تعتبر امرا ملحا بخاصة ، لان ذلك يسهل فهم مقدمات الوضع القائم حاليا فى جنوب الجزيرة ويساعد على فضح سياسة تزوير تاريخ هذه المنطقة .

يستند هذا البحث الى الوثائق الدبلوماسية البريطانية وغيرها من الوثائق غير المنشورة والتى تم الحصول على نسخ فوتوغرافية منها من الارشيف الوطنى فى الهند حيث تحفظ اصول ونسخ مختومة بختم «سرى» وتقارير المندوبين البريطانيين وتوجيهات لندن والمسودات السرية للمعاهدات وغيرها والمكاتبات الدبلوماسية الكثيرة المتعلقة بالسياسة الاستعمارية البريطانية فى الشرقين الادنى والاوسط ، بما فى ذلك جنوب الجزيرة العربية . واستنادا الى الوثائق الارشيفية (التى يتناول التحليل العلمى اغلبيتها لاول مرة) وكذلك مواد من الصحافة البريطانية والعربية ، واعتمادا على مؤلفات المستعربين السوفييت وعلى التحليل الانتقادى للبحوث والدراسات المنشورة فى البلدان العربية والغربية سنحاول فى كتابنا هذا ان نكشف عن الجوهر العدوانى للسياسة البريطانية الاستعمارية فى اليمن . ان الوثائق الارشيفية التى استخدمناها تساعدنا فى دراسة العديد من الجوانب الخفية للسياسة البريطانية الاستعمارية فى شبه جزيرة العرب وتبيان تكتيك واستراتيجية الامبريالية البريطانية واهدافها وطرائقها وخططها الرامية الى اخضاع الجزيرة العربية ، وخصوصا اليمن . علما باننا نحاول ان نلقى الاضواء كذلك على الخلافات التكتيكية التى كانت موجودة بين الاوساط الحاكمة البريطانية فى مسائل سياسة بريطانيا ازاء اليمن .

ان الكثير من العوامل التى تحدد العلاقات الراهنة بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ذات اصول تاريخية تعود الى مطلع القرن العشرين عندما تقاسمت بريطانيا والباب العالى اليمن ورسمتا فى ١٩٠٣-١٩٠٥ الحدود التى تفصل حتى الآن بين جمهوريتى اليمن . ولذا فان دراسة مسألة رسم هذه الحدود ، على اساس المراجع المذكورة اعلاه ، وعلى اساس المواد التى يوردها المؤلف لاول مرة والمأخوذة من

اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية ، تتسم بأهمية عملية تطبيقية فضلا عن اهميتها العلمية التاريخية .

ومع انه صدرت فى السنوات الاخيرة عدة مؤلفات علمية فى تاريخ اليمن فان فترة العشرينات والثلاثينات تظل من المراحل التى تكاد تكون غير مدروسة وذلك بسبب قلة المصادر الوثائقية وانعدام امكانية الاستفادة من الوثائق الارشيفية البريطانية . والحال فان هذه المرحلة بالذات هى فترة قيام اليمن الشمالى بحدوده الراهنة (الجمهورية العربية اليمنية حاليا) وتطور بعض العوامل التى لها تأثير كبير على العلاقات الحالية بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والمملكة العربية السعودية .

وحاول الاستفادة من غياب الدراسات الخاصة بهذه الفترة المؤرخون البرجوازيون لا سيما الموظفون السابقون فى الجهاز الاستعمارى البريطانى الذين ترأسوا فى حينه الادارة فى عدن . فقد عالجوا الوقائع اعتباطا ، بل وزوروها احيانا ليبرروا السياسة الاستعمارية البريطانية فى جنوب جزيرة العرب . فالمقيم البريطانى السابق واول حاكم فى عدن برنارد ريلى فى كتابه «عدن واليمن» ، وهو فى الواقع مديحة للسيطرة البريطانية على جنوب الجزيرة ، انما يصور السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية سياسة «تمدينية سلمية» تتوخى خير سكان اليمن الجنوبى الذين تقبلوا الحماية البريطانية طوعا كما يزعم * .

وبنفس هذه الروحية المتحيزة الف هارولد انغرامس ، وهو من موظفى الادارة السابقين فى عدن ، كتابه «اليمن : الائمة والحكام والثورات» . فهو يزور الوقائع ويحاول فى الواقع ان يثبت بان الشعب اليمنى لم يخض اى نضال تحررى ، ولم يكن هناك سوى «خلاف» بين بريطانيا والامام يحيى ، علما بان بريطانيا هى المحقة فى هذا «الخلاف» فهى لم تكن تريد ، كما يزعم ، سوى اعتراف الامام يحيى بالمعاهدات الخاصة بالحماية البريطانية على امارات اليمن الجنوبى . الا ان انغرامس يلزم

* Reilly. B. Aden and the Yemen. London, 1960, pp. 16-20.

الصمت بشأن دوافع بريطانيا الفعلية ولا يكشف عن المخططات الحقيقية للمستعمرين البريطانيين * .

ونجد نفس التحيز فى كتاب توم هيكينبوثام الذى كان حاكما لعدن . فهو يسعى لاقناع الرأى العام بان اليمن لم يكن فى الواقع مقسما بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية وان رسم الحدود بين شطرى اليمن قد تم لصالح السكان اليمنيين بغية وضع حد للنزاعات الاقليمية بين القبائل المحلية بسبب انعدام الحدود الواضحة» ** .

وفى معرض الكلام عن العلاقات بين بريطانيا وبين اليمن المستقل يحاول هيكينبوثام ان يبرر الاعمال العدوانية التى مارستها الامبريالية البريطانية ضد الشعب اليمنى ويزعم فى كتابه «عدن» «ان ائمة اليمن سعوا دوما الى بسط سلطتهم على اراضى محميات عدن ومستعمرة عدن . . . اما نحن فقد حاولنا من جهتنا دوما ان نقيم علاقات ودية مع اليمن ، لكننا فى الوقت ذاته لم ننس التزاماتنا تجاه حكام المحميات التى اخذنا على عاتقنا مهمة حماية اراضيها دون العدوان الخارجى» *** .

وهكذا استفاد ممثلو ادارة عدن السابقون من احتكار مصادر المعلومات ومن تواجدهم فى خضم الاحداث التى يتناولونها بالوصف ، فدأبوا فى مؤلفاتهم على تزوير تاريخ اليمن بشكل سافر وتصويره على نحو يعود بالنفع على الامبريالية البريطانية .

ونجد محاولات من هذا النوع ، ولكن باشكال اكثر تمويها ، فى اغلبية بحوث المستشرقين الغربيين . ومن اكثر المطبوعات الغربية عن اليمن جدية مؤلفات المؤرخين الاميركيين برايتون بوش ومانفريد وينير والمؤرخين الانجليزيين ايريك ماكرو ور . غافين ****. ولم يستعن احد منهم بالمراجع العربية ما عدا وينير الذى استشهد بها على نطاق واسع بفضل معرفته للغة

* Ingrams H. The Yemen. Imams, Rulers and Revolutions. London, 1963, pp. 63-65.

** Hickinbotham T. Aden. London, 1958, p. 55.

*** Ibid.

**** Bush B. Britain, India and the Arabs. London, 1971. Wenner M. Modern Yemen. Baltimore, 1967. Macro E. Yemen and the Western World. London, 1968. Gavin R. J. Aden under British Rule. London, 1975.

العربية . الا ان مؤلفاته تعانى من نقص كبير لانه لم يستخدم الوثائق الارشيفية البريطانية خلافا لبوش وغافين . ويورد البروفسور وينير فى كتابه «اليمن الحديث» مادة غنية مستقاة من عدد كبير جدا من المراجع الغربية والعربية . الا ان وينير يستخدم هذه المادة ليبرر الامبريالية عموما وسياسة الامبريالية البريطانية فى جنوب جزيرة العرب خصوصا . ويعتبر وينير نضال الشعب اليمانى فى سبيل توحيد اليمن «مطامع يمنية بمحمية عدن» * ، كما يصور المساعدة النزيهة من قبل الاتحاد السوفييتى الى اليمن وكأنها محاولة لبسط «النفوذ السوفييتى» فى اليمن ** . وفى الوقت ذاته يتناول وينير الخلافات السعودية اليمنية ويغفل متعمدا دور بريطانيا فى تأجيج تلك الخلافات *** .

اما ايريك ماكرو فى كتابه «اليمن والعالم الغربى منذ عام ١٥٧١» الذى يتضمن مادة هامة ، فهو ايضا يدافع عن الامبريالية البريطانية . ويقدم ماكرو وصفا تفصيليا لرسم الحدود من قبل بريطانيا وتركيا ويورد ارقاما وتواريخ صحيحة **** . لكنه يكشف عن المقدمات التى ادت الى رسم الحدود بتلك الصورة ولا يبين الامر الرئيسى ، وهو ان بريطانيا والاستانة اقتسمتا ارضا لا تعود لهما . وفى فصل «الروس فى اليمن» (١٩٢٣–١٩٥٧) يحاول ماكرو ان يشوه جوهر المساعدة السوفييتية الى اليمن ويصورها على انها «محاولة من موسكو لنشر الشيوعية فى كل العواصم الدبلوماسية» ***** . ويتناول ماكرو غلق الممثلية السوفييتية فى جدة من قبل ابن سعود فيزعم بان السبب فى ذلك هو «عدم رواج البضائع الروسية فى الحجاز» ****** . الا ان الوثائق الارشيفية تدل على ان بريطانيا لعبت الدور الرئيسى فى ذلك ، حيث مارست

* Wenner M., . . . , p. 149.

** Wenner M., . . . p. 155

*** Wenner M., . . . pp. 142-145.

**** Macro E., . . . pp. 38-40.

***** Macro E., . . . p. 111.

****** Macro E., . . . p. 112.

ضغوطا شديدة على ابن سعود وحملته على غلق المثلية السوفييتية فى جدة * .

يعتبر بحث البروفسور الاميركى برايتون بوش «بريطانيا والهند والعرب ، ١٩١٤–١٩٢١» ** من حيث مستواه العلمى اعلى مرتبة من كتابى وينير وماكرو . فهذا البحث المستند الى مادة ارشيفية وفيرة له قيمة كبيرة لانه مشبع بوقائع ومعطيات لم تكن معروفة حتى الآن . لكن بوش ، رغم المراجع الخطيرة التى اعتمد عليها فى دراسته ، يحاول ان يمرر فيها الفكرة القائلة بان «مساعدة» بريطانيا قد مكنت العرب من التحرر من النير العثمانى .

وفى عام ١٩٧٥ صدرت فى لندن دراسة «عدن تحت السيطرة البريطانية ، ١٨٣٩–١٩٦٧» للمؤرخ الانجليزى البروفسور غافين . ومن مزايا هذه الدراسة بخاصة ان غافين ، شأن بوش ، يستخدم على نطاق واسع الوثائق الارشيفية البريطانية المنشورة وغير المنشورة . لكنه فى الوقت ذاته يفسر المادة الارشيفية الوفيرة بصورة اعتباطية ويحاول ان يحلل مجمل سير الاحداث فى جنوب الجزيرة انطلاقا من مواقع الدفاع عن السياسة الاستعمارية البريطانية . فهو يحاول ان يضفى على المستعمرين البريطانيين صفة «دعاة السلام» فيؤكد بان السياسة البريطانية «اللبرالية الرافضة للتدخل فى الشؤون الداخلية» كانت تستهدف «تمتين الصداقة الانكلوعربية . . . وحفز تطور دول الجزيرة» . . . *** .

وفى عام ١٩٨١ صدر باللغة الانجليزية فى لندن كتاب بعنوان «تاريخ عدن» لباحث من اصل فلسطينى هو الدكتور زكى حنا كور . والكتاب رسالة دكتوراه نوقشت فى جامعة لندن ، واستندت الى وثائق ارشيفية بريطانية منشورة وغير منشورة . ويتضمن الكتاب وقائع كثيرة هامة ، لكن المؤلف هو الآخر يستخدمها لتبرير سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية .

* National Archives of India (NAI). Arabia Series part 4, No 108.

** See Bush B. Britain, India and the Arabs. London, 1971.

*** Gavin R. J., . . . p. 251.

ويدل على ذلك ، مثلا ، تأكيد المؤلف على ان الانجليز كأنما لم يكونوا ينوون استخدام عدن كقاعدة للعدوان والتوسع * .

ان هذا الاستعراض المقتضب يجعلنا نخرج باستنتاج مفاده ان المؤرخين البرجوازيين الذين حصلوا فى السنوات الاخيرة على فرصة للاستفادة من الوثائق البريطانية بعد ان رفعت عنها دمغة السرية والكتمان يحاولون ، استنادا الى الوثائق التى يفسرونها على هواهم ، ان يبيضوا صفحة السياسة الاستعمارية البريطانية فى الجزيرة العربية .

اما المطبوعات العربية الخاصة بفترة موضوع البحث فهى قليلة .

فحتى الآن لم يظهر فى هذا الموضوع ، على حد علمنا ، الا بحثان عربيان يستندان الى الوثائق الارشيفية البريطانية . البحث الاول للدكتور طه جاد «سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن» ، وهو يتناول الاحداث فى هذه المنطقة بالتفصيل ولكن حتى عام ١٩١٨ فقط ** . والبحث الثانى للدكتور فاروق عثمان اباظة «عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر» وهو يتناول الفترة ١٨٣٩–١٩١٨ ويستند الى مادة ارشيفية وفيرة ، الا ان اطر التسلسل الزمنى فيه ضيقة جدا *** .

ويتميز بأهمية كبيرة كتاب المؤرخ اليمنى عبد الوسيع بن يحيى الوسيع «تاريخ اليمن» . فالمؤلف شاهد عيان على اغلبية الاحداث التى يصفها بالتفصيل **** .

وابدى الباحثون احمد حسين شرف الدين وامين سعيد ومصطفى سالم ***** اهتماما بالغا بفترة نشوء المملكة اليمنية

* Kour Z. H. The history of Aden. London, 1981, p. 112.

** د . طه جاد . سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن . القاهرة ، ١٩٧٠ .

*** د . فاروق عثمان اباظة . عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر . القاهرة ، ١٩٧٦ .

**** عبد الوسيع بن يحيى الوسيع . تاريخ اليمن . القاهرة ، ١٩٢٨ .

***** احمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ . القاهرة ، ١٩٥٨ . امين سعيد . اليمن . القاهرة ، ١٩٥٩ . سالم مصطفى . تكوين اليمن الحديث والامام يحيى القاهرة ، ١٩٧١ .

المستقلة بامامة الامام يحيى . ويدرس احمد حسين شرف الدين وامين سعيد فى كتابيهما بالتفصيل تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ويشجبان سياسة الامبريالية البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية . ويتناول امين سعيد بدقة متناهية العلاقات بين اليمن والعربية السعودية وكذلك اسباب نشوب الحرب اليمنية السعودية .

صدرت الطبعة الاولى من كتاب المؤرخ المصرى مصطفى سالم «تكوين اليمن الحديث والامام يحيى» فى عام ١٩٦٣ . وقد استعان المؤلف بالمطبوعات والصحف العربية والغربية المتوفرة حتى مطلع الستينات بالاضافة الى مواد وزارة الخارجية السعودية الواردة فيما يسمى «بالكتاب الاخضر» الذى يتضمن وثائق تخص العلاقات السعودية اليمنية . ويتميز مؤلف مصطفى سالم بأهمية كبيرة ، لكنه ، على ما نظن ، يحلل الكثير من الظواهر بشىء من التحيز . فمع انه عموما يشجب سياسة بريطانيا العدوانية فى جنوب الجزيرة العربية ، لكنه يتقبل بدون تحليل انتقادى النظريات الاساسية التى يقول بها المؤرخون الغربيون . ففى فصل «الامام والاتحاد السوفييتى» يضع الاتحاد السوفييتى فى الواقع فى خانة واحدة مع الدول الاستعمارية . ويعتبر مصطفى سالم رغبة الجمهورية السوفييتية الفتية الصادقة فى مد يد العون الى اليمن عندما تعرضت المدن اليمانية الى قصف وحشى من قبل سلاح الجو البريطانى محاولة لبسط «النفوذ السوفييتى» فى الجزيرة العربية * .

ان المرجع الاساسى لبحثنا هذا هو مواد ووثائق الارشيف الوطنى فى الهند . ويمكن تقسيم الوثائق الارشيفية التى اعتمدناها الى مجموعتين . تتعلق المجموعة الاولى بالتقسيم الانكلوعثمانى لليمن ورسم الحدود بين ولاية اليمن ومحميات عدن . وبالاضافة الى المكاتبات الدبلوماسية الوفيرة وتقارير المقيم البريطانى فى عدن وتوجيهات لندن والخ . تضم هذه المجموعة مواد ووثائق اللجنة الحدودية البريطانية التى تتضمن معلومات تفصيلية عن سير رسم الحدود وعن المقاومة التى ابدتها القبائل وعن موقف

* سالم مصطفى . ص ٣٥٠–٣٥١ .

الجانب العثمانى ، كما توجد فيها خرائط الحدود ونصوص البروتوكولات التى صادقت على نتائج رسم الحدود . وتتسم بأهمية كبيرة الوثائق التى تشير الى مناورات الدبلوماسية العثمانية والبريطانية والى الخلافات الاقليمية التى ظهرت بين بريطانيا وتركيا اثناء رسم الحدود ، فكلاهما تريد الاستيلاء على رؤوس الجسور فى جنوب الجزيرة العربية .

وتضم المجموعة الثانية مواد ووثائق تدل على نية المستعمرين البريطانيين فى حرمان اليمن من اى منفذ الى البحر وقطع كل الصلات الاقتصادية والتجارية التقليدية بين الساحل والمناطق الداخلية . وتوجد بين هذه المجموعة من الوثائق الارشيفية مخططات بريطانية غير معروفة حتى الآن لحصر اليمن فى حدود المقاطعات الجبلية الداخلية وتحويل التجارة الخارجية اليمانية كلها صوب عدن وهلمجرا . وتتميز بأهمية كذلك الوثائق التى تشير الى جوانب غير معروفة حتى الآن من التنافس الانكلوايطالى فى اليمن . كما تتسم بقيمة كبيرة فى فضح الطابع الاستعمارى للسياسة البريطانية فى جزيرة العرب الوثائق التى تشير الى محاولات بريطانيا للحيلولة دون اقامة العلاقات العربية السوفييتية وذلك بالضغوط الدبلوماسية والعسكرية على حكام الجزيرة .

* * *

يقع اليمن عند التقاء آسيا بافريقيا فى منطقة ملائمة من حيث المناخ والموقع الجغرافى ، ولذا صار من قديم الزمان هدفا للغزاة . فقد تعرض اليمن خلال تاريخه الطويل الى غزو الرومان والاحباش والفرس والبرتغاليين والمصريين . وتركت الغزوات والفتوحات العثمانية اثرا خاصا فى تاريخ اليمن . ففى عهد الاحتلال العثمانى الاول (١٥٣٨–١٦٢٨) وقع القسم الاكبر من اراضى اليمن ، بما فيها عدن ، تحت السيطرة العثمانية * . واثارت

* مفهوم «اليمن» يطلق تاريخيا وجغرافيا على القسم الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية . وفى العصر الجاهلى كان اليمن يشمل اراضى